والوسائل) ، في حين كانت الحركة الصهيونية ترى الزمان بوصفه عاملا حاسما في المعركة وتستخدمه ، بملء قوتها وقدرتها ، للوصول الى نقطة يميل فيها ميزان القوى المحلي لصالح الييشوف ، باعتباره عتلة الدولة اليهودية المنشودة · ولقد لعبت النظرة اللااخلاقية الرومنسية العربية الى الحق دورا في تشكيل نظرتهم الى الزمان ، باعتباره يحوي غيبا ما او قدرا ما يسند الحق التاريخي العربي في فلسطين ·

اذا ، عندما نعي ان وحدات الزمان مترابطة على نحو تراكمي وسببي ، وبالتالي عندما نعي ان عقلانية ما تربط وتنظم احداثا تتدافع في مسار تاريخي ما، وبكلمة عندما نقر بعقلانية التاريخ ، لا يعود في الوسع سوى الاقرار ان قيام اسرائيل كان امرا متوقعا · بل يمكن القول ان قيام اسرائيل اصبح مؤكدا عندما مال ميزان القوى المحلي الى جانب الييشوف في العام ١٩٣٩ · بفعل هذا العامل او ذاك ، كان ممكنا ان يتأخر قيام اسرائيل سنة او سنوات ، او كان ممكنا لاسرائيل ان تكون أصغر أو اكبر مساحة ، الا ان قيام دولة لليهود كان امرامؤكدا بفضل ميزان القوى المحلي ، الذي حوله الييشوف لصالحه ، والذي لم يلبث ان صنع امرا واقعا ، سرعان ما فرض نفسه وشرعيته على العالم ·

لقد كان تكون اسرائيل سيرورة متصلة من المواجهات والمعارك على مختلف الاصعدة ، السياسية ، الثقافية ، الاقتصادية ، الحربية ، سيرورة بقيت دائرة مدة ثلاثين عاما ونيف · وبالتالي لم يكن قيامها شيئا من قبيل الضربة القاصمة الخاطفة التي حسمت في أسابيع او شهور · حتى المعارك العسكرية ، التي نشبت بين العرب واليهود ، قبيل الانسحاب الانكليزي وبعيده ، للسيطرة على الارض الفلسطينية هي مجرد حلقة في سيرورة صراع طويلة ، ونتيجتها كانت حصيلة تراكم استمر طوال هذه الحقبة ، وكانت محكومة بالتالي بالعوامل نفسهاالتي حكمت الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، منذ وعد بلفور وحتى اعلان دولة اسرائيل · الا ان هؤلاء الذين ينكرون عقلانية التاريخ، وينظرون اليه بوصفه كوما من الاحداث التي تحكمها الصدف ، غير القادرين ، بسبب وعيهم المحافظ، على استيعاب التجربة التاريخية العربية ونقدها والامساك بدور التقصير والقصور الذاتيين العربيين في الهزيمة في فلسطين ، لا بد منزلقين الى نزعة قدرية ، حيث تبدو الهزيمة زلة قدر سيء لا مفر منها ، او يبدو وكأنه ـ اي التاريخ ـ اخذ مسارا غير عقلاني ، الامر الذي يضاعف عجزنا امام اسرائيل، لانه يمنعنا من الامساك بالاسباب الحقيقية التي فرخت الهزيمة ·

لو ان اسرائيل قامت نتيجة حظ عربي عاثر ، لو انها قامت في غفلة عن التاريخ ، لو انها كانت غلطة لا عقلانية من غلطات التاريخ ،لو انها قامت بسبب « اخطاء » عربية غامضة او غير بنيانية ، لما امكنها ان تستمر حتى اليوم ، لان العرب سيكونون قادرين حتما وبلا تأخير على ان يعيدوا للتاريخ عقلانيته ويجعلونه يصحح هفوته بتكنيس اسرائيل من الوجود ·